# بطرس وحقيقة الإنسان

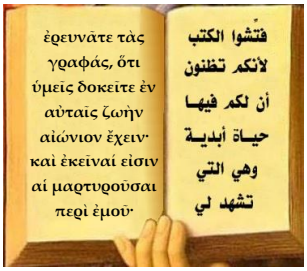


✠✚✠

ما أقل ما عرف بطرس، وما أقلَّ معرفتنا نحن أيضًا، عن أنَّ «اَلْقَلْبَ أَخْدَعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ نَجِيسٌ» (إر ١٧: ٩). عندما حذَّره الرّب من أنه سوف ينكره، عارض بطرس بشدة وافتخر بإخلاصه وتكريسه. كان بطرس مملوءً ثقةً في ذاته، وصلَّى الرّبُ لأجله، وأخبرَهُ بهذا (لو ٢٢: ٣٠)، فسَبَقَت النعمةُ سَقْطَتَه وإنكاره.

وهل بعد ذُلِّ الهزيمة وسقوط عظيم مثل هذا، يمكن أن تُرَدَّ نفس بطرس؟ يقول الكتاب: «وَفِي الْحَالِ بَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ صَاحَ الدِّيكُ» (لو ٢٢: ٦٠). لقد استخدم ذاك الحامل لكل الأشياء بكلمة قدرته، واحدًا من العجماوات غير الناطقة لكي يساعد تلميذه. ومَنْ غير بطرس في تلك الساعة من الليل، يَعبأ بصيحة من ديك؟ لكن بالنسبة لبطرس، كان لصياح الديك فعل سهام البرق التي تخترق الظلام. لقد اهتزت نفسه «فَتَذَكَّرَ بُطْرُسُ الْقَوْلَ الَّذِي قَالَهُ لَهُ يَسُوعُ: «إِنَّكَ قَبْلَ أَنْ يَصِيحَ الدِّيكُ مَرَّتَيْنِ، تُنْكِرُنِي ثَلاَثَ مَرَّاتٍ» (مر ١٤: ٧٢). وفي لحظة كانت حاجة نفسه العميقة تتلاقى مع نظرة من الرب. كانت نظرة مُسعِفة مُنجِدة، مِن ذاك الذي أخطأ بطرس في حقِّه: «فَالْتَفَتَ الرَّبُّ وَنَظَرَ إِلَى بُطْرُسَ» (لو ٢٢: ٦١). وكانت نظرة الرب مليئة بالحب، لم يكن فيها وميض الغضب. كانت فيها ولا شك مرارة الألم وعليها مسحة الحزن العميق، لكن كان فيها أيضًا وفي أعماقها، حنان المخلِّص الذي مرة مدَّ يده وأمسك ببطرس لما ابتدأ يغرق في البحر، وبنفس هذا الحنان أمسك به الآن. في تلك النظرة الخاطفة رأى بطرس غفرانًا وحبًّا، رأى رقَّةَ قلب السَّيد بصورة لم يختبرها من قبل. فذاك الذي "انتظر رقَّةً فلم تكن" (مز ٦٩: ٢٠) أفاض هو من قلبه رقَّةً وشفقةً وحنوًّا على مَنْ أنكره لتوِّه.

فالرَّب الذي طلب من أجله ظل مُتذكِّرًا إيَّاه طوال المحاكمة، وبمجرَّد صياح الديك نظر إليه نظرة النعمة المُحتَضِنة للقلب ففاضت من عينيه دموع التوبة. فبالرغم من كل الآلام التي جازها الرّب من رفض أُمَّتِهِ له، وخيانة تلميذ مزيَّف، وإنكار تلميذ حقيقي، وترْك الكل له، ظلت محبة قلبه ثابتة دون أن يعتريها أي تغيير.

أكمل السَّيد علاج بطرس من اعتداده بذاته وتباهيه بمحبته أكثر من الكلّ، وذلك على بحيرة طبريّة بعد قيامته. فبدأ السَّيد حديثه، أمام ستة من التلاميذ «أَتُحِبُّنِي ἀγαπᾷς με أَكْثَرَ مِنْ هؤُلاَءِ؟» (يو ٢١: ١٥)، وكأن سمعان عند سماع هذه الكلمات من فم السَّيد، قد تذكَّر في الحال ذلك القول الذي نطق به مرة وهو محمول بالثقة الذاتية: «إِنْ شَكَّ فِيكَ الْجَمِيعُ فَأَنَا لاَ أَشُكُّ أَبَدًا» (مت ٢٦: ٣٣). فأجاب بطرس "نعم يا رب أنت تعلم أني أودّك φιλῶ σε" اعتراف فيه ضآلة محبته أقل من هؤلاء. كرَّر الراعي سؤاله مرات ثلاث، وفي المرة الثالثة استخدم الفخّاري تعبير "أتودُّني φιλεῖς με"، وهي أقل كثيرًا من «أتُحبُّني ἀγαπᾷς με»، مؤكدًا له ضعف محبته.

هنا تضاءل جدًّا بطرس، في عيني نفسه، وحَزن، وانكسرت ذاته، واحتكَم للمعرفة الإلهية بكل شيء، لاكتشاف محبته الضعيفة جدًّا؛ قائلًا: "يا رب أنت تعلم كل شيء، أنت تعرف أني أودُّك". هنا تجلَّت ثقة بطرس في سيده «أَنْتَ تَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ» (يو ٢١: ١٧). وكأنّه يقول: إنّ محبتي أقل من الكل وأضعف من أن يحسّها قلب، أنت أَخْبرْتني بسقْطَتي قبل حدوثها، ولأجلي طلبتَ، وإليَّ نظرتَ، وبرجوعي أخْبرتَ، وإيَّاي حفظتَ. لن أعود مرة أخرى للتكلم عن حالة قلبي، ولن أعود إلى الافتخار فيما بعد بما سوف أفعله أو سوف لا أفعله، ولكني سأترك نفسي في يد ذاك الذي يعرف كل شيء، ويعرف شرّ قلبي، وهو الوحيد القادر أن يحفظني من السقوط. «قَدِ اخْتَبَرْتَنِي وَعَرَفْتَنِي. أَنْتَ عَرَفْتَ جُلُوسِي وَقِيَامِي. فَهِمْتَ فِكْرِي مِنْ بَعِيدٍ ... وكُلَّ طُرُقِي عَرَفْتَ ... اخْتَبِرْنِي يَا اَللهُ وَاعْرِفْ قَلْبِي. امْتَحِنِّي وَاعْرِفْ أَفْكَارِي. وَانْظُرْ إِنْ كَانَ فِيَّ طَرِيقٌ بَاطِلٌ، وَاهْدِنِي طَرِيقًا أَبَدِيًّا» (مز ١٣٩: ١-٢، ٢٣-٢٤). هنا السّيد يسند ثقة قلب تلميذه المكسور، لئلا يُجرِّده الشيطان من ثقته في معلّمه. فيشجعه قائلًا: ارع غنمي. مُذكِّرًا له بما قاله قبلًا: «وَأَنْتَ مَتَى رَجَعْتَ ثَبِّتْ إِخْوَتَكَ». **(البقية ص ٤٥)**